حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد إبريل – يونيو2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الزمن في قصائد الاستدعاء:
قراءة للظواهر الزمنيّة في قصيدة محمود درويش (أنا وجميل بثينة)

د.علي بن قاسم بن مصبّح الكلباني*

أستاذ النقد الحديث المساعد، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب، جامعة السلطان قابوس
alik@squ.edu.om

تاريخ الاستلام: 2022/1/12
تاريخ قبول البحث: 2022/2/3
تاريخ النشر: 2023/6/30

المستخلص:

تعتمد قصائد الاستدعاء على استدعاء شخصيات تاريخية من ذوات الثقل الإيحائي لعرض المغزى بصورة غير مباشرة، وعلى الرغم من المزايا الموضوعيّة القيّمة التي تميّز هذا النوع إلا أن حالة الاستحضار تفرض إشكاليات فنيّة بسبب تأسس النص على ازدواجيّة الخطاب والتحوّلات الزمنيّة، ويهدف هذا البحث إلى تناول عنصر الزمن في قصائد الاستدعاء بالاعتماد على الفينومينولوجيا الوجودية لهايدجر، وقد انطلق من تخلّي شعر الاستدعاء عن الزمن الواقعي ليربط النص بسياق زمني وجودي يمكّنه من مزج الأزمنة، وسعى البحث إلى الكشف عن الظواهر الزمنيّة المتعلّقة بشعر الاستدعاء من خلال دراسة الزمن في نص)أنا وجميل بثينة) لمحمود درويش لتحديد عناصره وتأثيره على المغزى ونوعيّة الزمن والزمن الفعلي للنّص وزمن الرؤيا النصيّة. لقد افترض النقّاد أن قصائد الاستدعاء قائمة على استدعاء شخصيات من الماضي إلى الحاضر، لكنّ هذا الافتراض لا يوضح الزمن الفعلي للقصيدة وهو أيضًا ليس صائبًا لسببين: إنّ الحاضر والماضي لا يمنحان الزمن الأصيل، وإنّ دلالة الاستدعاء لا تظهر في النص بمعنى الدعوة وإنّما بمعنى المزامنة بسبب حضورها القوي الذي لم يضعف منذ أن ظهرت لأول مرّة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

1. إشكالية البحث

ذهب النقّاد –في العصر الحديث– إلى أنّ الزمن عنصر من عناصر النص الأساسيّة ولا يكون عمل فني بلا زمن، وقد قسّموا أزمنة النص إلى نوعين:

–الأول: الأزمنة الخارجيّة، وتشمل: الزمن الذي استُغرق لإنتاج النص، والزمن الذي أنتج فيه، والزمن الذي مرّ عليه منذ إنتاجه، وزمن العودة إليه.

– الثاني: الأزمنة الداخلية، وتشمل: الزمن الواقعي أو الطبيعي الذي يتعلّق بالأيام والساعات ونحوه، والزمن النفسي الذي يتعلّق بالإحساس والشعور؛ نحو: "أحسُّ كأنني ولدت اليوم" أو" أشعر أنني عدتُ شابًّا"، والزمن الإيحائي الذي يتعلّق بالحال أو العمل كأن يدل المبيت على الليل والغداء على الظهيرة. ولقد سيطرت هذه الأنواع الثلاثة على النصوص الشعرية التقليديّة ولم تشكّل تحدّيًا للنقد لأنها تربط الزمن بالسياق الذي يوضّحه، إلا أن الشعر العربي تحوّل في القرن العشرين إلى استعمال نوع جديد أصعب تحديدًا وأكثر غموضًا من تلك الأنواع الثلاثة، وهذا النوع الرابع هو الزمن الفلسفي.

ولقد اعتمدت الأنماط الشعرية الحديثة كلها تقريبًا على الزمن الفلسفي، وكان الشعر الرومانسي أوّلها ثم تبعته الأنماط الأخرى من مثل شعر الأسطورة والشعر الرمزي وشعر المرايا وشعر القناع وشعر الاستدعاء، وقد أصبحت قراءة هذه الأنواع تعوّل على فهم العنصر الزمني وتأويله ولم يكن ذلك سهلاً ولا يسيرًا بسبب أن الزمن الفلسفي ليس نوعًا واحدًا ولا محدّدًا، حيث تغيّرت مفاهيم الفلاسفة للزمن وتضاربت بين محقق لوجوده ومنكر لذلك، وبين قائل بثباته ونافيًا له، وبين متحيّر فيه وقاطع بشأنه. ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى دراسة الزمن في قصيدة الاستدعاء اعتمادًا على أساسين:

- مفهوم الزمن الذي بُنيت عليه قصائد الاستدعاء وسمح لها بالاعتماد على التحوّلات الزمنية.
- المرجعيّة الفلسفيّة التي مكّنت قصائد الاستدعاء من استغلال التحوّلات الزمنية في بناء المضمون وطرح المحتوى المتميّز.

وسيكشف ذلك عن جملة من النتائج التي تتصل بموضوع البحث، وعن فهم أفضل لمواضيع أخرى قد لا يتناولها البحث بالضرورة (حتى لا يخرج عن سياقه) ومنها مثلاً: اعتماد شعر الاستدعاء على البنية الحوارية، واللغة الإشاريّة، وإسقاط التجارب الشخصيّة على القضايا العامّة.

2. مفهوم قصيدة الاستدعاء

تستعمل بعض الدراسات العربيّة مصطلح "**الاستدعاء**" بمفهوم "**التناص**"[1] ، وتذهب إلى أنه كان شائعًا في الشعر العربي القديم وخاصّة الشعر العباسي عند أبي تمام والبحتري والمتنبي، أمّا في الحقيقة فإنّ شعر "**الاستدعاء**" مختلف عن التناص والاقتباس لأن قصيدة "**الاستدعاء**" لها بنية عضويّة نامية ومفهومة؛ ولا تعني أبدًا مجرد استعمال الأسماء التاريخية أو اقتباس الأقوال أو التذكير ببعضها، ولعل المطابقة بين"الاستدعاء" و"التناص" أو "الاقتباس" ترجع إلى أن

بعض النقّاد العرب دائمًا ما يواجهون صعوبة في تقبّل الظواهر الأدبية الجديدة أو التقنيات الحديثة فيربطونها بالأدب القديم عن طريق مصطلحات معيّنة من مثل "جذور" أو "بذور" أو "أصول" أو "منابع" ونحوها.

ونجد أيضًا أن كثيرًا من الدراسات تخلط بين مصطلحي "**الاستدعاء**" و"**القناع**" فتطابق بينهما[2]، أو تجعل "**القناع**" وسيلة "**للاستدعاء**" أو العكس[3].

وعلى الرغم من التشابه بين هذين النوعين إلا أن الموازنة بينهما تكشف عن أنّ قصائد (الاستدعاء) أعمّ من قصائد(القناع)، ففي حين إن قصائد القناع تتمحور حول التقنّع بقناع مركزي لشخصية أساسية واحدة وتسمح للشخصيات الأخرى بالظهور لتساعد على تقديم الرؤية الفكرية؛ فإن قصائد الاستدعاء تقوم على استدعاء شخصيات متعددة قد تتعاصر وقد لا تتعاصر وقد تغيب الشخصية الأساسية في هذا النوع من القصائد لصالح شخصيات تأخذ الأهميّة نفسها، وفي حين إن صوت القصيدة في قصائد القناع من مثل (رحلة المتنبي إلى مصر) هو صوت شخصيّة القناع فإن صوت القصيدة في قصائد الاستدعاء من مثل (فضاء هابيل- عود إسماعيل) هو صوت داخلي يمثّله المحاور للشخصيّات أو المسائل لها أو المصحاب لها ، وهذا يؤدي أيضًا إلى التمايز من حيث الهدف الفنّي حيث يكون التعبير اللا مباشر والتغلب على موانع البوح هو محصّلة قصائد الاستدعاء في حين إن تعميق الرؤية النصيّة هو الهدف النهائي لقصائد القناع.

إن أهمّ ما يميّز قصائد الاستدعاء عن قصائد القناع يكمن في التفاصيل الزمنيّة التي تحدد طبيعة كلّ منهما، فالتفاصيل الزمنيّة في قصائد الاستدعاء أكثر وضوحًا من قصائد القناع، ويعود السبب إلى أن الاستدعاء يكون إمّا باستحضار الشخصيّة أو بالذهاب إليها ويؤدي ذلك إلى فعلين زمنيين واضحين قد يكونان معًا أو يكون أحدهما، وهما: الاستماع للشخصيّة أو الحديث إليها. أمّا في قصائد القناع فليس من السهل تحديد التفاصيل الزمنية التي تكشف عن طبيعة الصوت المتحدّث، والسبب أن هذا الصوت يتردد بين الشخصية التاريخية (القناع) وشخصيّة الشاعر(المتقنّع) كما يتردد بين الأزمنة القديمة والحديثة ممّا يعني عدم التطابق بين زمن الشخصيّة وزمن الصوت.

أمّا من حيث الشخصيّات فنجد أن الشخصيات المستحضرة في قصائد الاستدعاء العربيّة لها أهمية وجوديّة بارزة للحضارة العربية، وهي تمثّل زمن الإنجاز أو التميّز الذي أنتجها وسمح لها بالنجاح في التجربة الذاتية وجعلها دليلاً على القوة والانتصار فأصبح لا بدّ من استحضارها للتغلّب على الهزيمة والانكسار، ويبرز العامل الزمني في اختيار هذه الشخصيّات من خلال أنها حافظت على حضورها الزمني الذي لم يقتصر على حياتها وإنما امتد على هيئة خط زمني مستمرّ وصل إلى الواقع المعاصر للأمّة بكل السمات التي حملتها تلك الشخصيّات، وهذا الحضور الزمني هو الذي يسمح بمحاورتها في قصيدة الاستدعاء للتغلب على موانع البوح التي يفرضها الواقع السياسي أو الثقافي او الأيديولوجي، ومهما بدا أن الزمن السطحي أو التاريخي يرتبط بالشخصية وأن الزمن العميق أو الخفي يرتبط بالمغزى إلا أننا في الواقع نجد هذين الزمنين ممتزجين جدًّا فلا تتشكل الرؤية اعتمادًا على أحدهما. وبناء على هذه التحديدات يمكن تعريف قصيدة الاستدعاء بأنها "**نص شعري حديث يستدعي شخصيات تاريخية من ذوات الإنجاز والثقل الإيحائي والحضور القوي في الثقافة للاستماع لها أو التحدّث معها، ويصاغ في بنية نصّية تعتمد على الزمن ليكشف عن مغزى عميق أو جدلي يمكن أن يوضّح الموضوع أو يفسّره برؤية نصيّة شموليّة**".

3. المرجعيّة الزمنيّة لقصائد الاستدعاء

أوّل من انشغل بمفهوم الزمن هم الفلاسفة والمتكلّمون، وقد أخذ فلاسفة اليونان مفهوم الزمان الدائري من البابليين والحضارات القديمة ليقولوا بفكرة **العود الأبدي** التي تعني التكرار إلى ما لانهاية، لكنهم مع ذلك اختلفوا في النقطة التي بدأ منها الزمن فأكّد أفلاطون على أن الزمان له بداية وأنكر أرسطو ذلك[4]، واستأنف الفلاسفة المسلمون – الذين يسمّون في الكتب القديمة بالمتكلّمين – بحث مفهوم الزمن، وكانوا يواجهون إشكالية الربط بين الله جل جلاله والوجود والزمن، والسبب أن الله جل جلاله ليس في الزمن لأنه خالق الزمن، أمّا الوجود فقائم على الحركة، وأما الزمن فهو مقدار الحركة، فمنهم من رأى أن الزمن بدأ مع خلق الوجود وأنهما خلقا معًا[5]، ولذلك لم يقبلوا وجود الشيء دون زمن ولا وجود المكان دون زمن، وقد ذهب ابن سينا إلى قدم الزمان قائلاً إنّ "الوجود قديم في الزمان محدث في الذات"[6] بمعنى أنه قديم متجدد، وذهب الغزّالي في كتابه (التهافت) إلى أن القبل والبعد نسبيّان[7]، ورأى الرازي في كتابه (شرح عيون الحكمة) أن الزمن موجود بنفسه مستقل بذاته أي أنه حقيقة وجوديّة، لكن الرازي في كتابه (المطالب العليّة) خالف المتكلّمين الآخرين برفض تجددّ الزمن قائلاً بثباته ونسبيّة الحوادث إليه[8]، وأتى بعده أبو البركات البغدادي فذهب في كتابه (المعتبر في الحكمة) إلى تقسيم الزمن إلى (آنات)، معتبرًا أن الآنية تدلّ على الوجود الموضوعي، وقد حلّ هذا المبدأ تعارض (القدم/ التجدد) وتعارض (الثبات/ الحركة) لأن مبدأ الوجود الموضوعي يقر بأن الزمن متصل في ماهيته منفصل في وجوده، كما حلّ البغدادي إشكالية أخرى وهي فهم استقلال الوجود الزمني عن وجود الواجد، فلم يجز وصف الزمن بـــ (الأزليّة) لأنها صفة الله جلّ جلاله ولأنها تدل على الامتداد في الماضي إلى ما لا نهاية، وأجاز وصف الزمن بـــ(الأبديّة) لأنّها تدلّ على الامتداد في المستقبل إلى ما لا نهاية[9].

وفي العصر الحديث لم يقتصر بحث مفهوم الزمن على الفلاسفة بل انضم إليهم علماء النفس وعلماء العلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء، ولم يتفق هؤلاء الباحثون على مفهوم واحد للزمن ومع ذلك يمكن القول إنهم اتجهوا في تعريف الزمن إلى مسارين[10]:

- **المسار الأوّل:** هو **المسار الموضوعي** الذي يقول بحقيقيّة الزمان ويؤمن بقدرة العلم على الوصول إلى حقيقته، ومن أتباع هذا المسار فلاسفة العلوم وعلماء العلوم الطبيعيّة.
- **المسار الثاني:** هو **المسار اللاموضوعي** الذي ينكر حقيقيّة الزمان أي الزمان الموضوعي ومن هؤلاء الفلاسفة المثاليّون والفلاسفة الوجوديون وعلماء النفس.

وفي المسار الأول ذهب فلاسفة الطبيعة وعلماؤها إلى أن الزمان مطلق أي يتصف بالأزليّة والأبديّة، وظلّت هذه النظرة سائدة إلى بداية القرن العشرين عندما نشر الفيزيائي ألبرت أينشتاين في عام 1905 بحثًا (عُرف فيما بعد **بالنسبيّة الخاصّة**) نفى أن يكون الزمن مطلقًا في الوجود ونفى ثباته قائلاً: **إنه حادث ونسبي لأن الحركة نسبيّة وهي مختلفة من موجود إلى آخر**، ونص على أن الزمن متحرك وأن العلاقة الزمنية بين موجودين تعتمد على قوى الجاذبيّة وأنه كلما كانت الجاذبية أقوى كان الزمن أبطأ، وأتت بحوث أخرى فسّرت وجود الزمن بالبعد الرابع بعد الأبعاد المكانيّة للموجودات وهي الطول والعرض والارتفاع، وفي عام 1915 نشر أينشتاين نظرية (**النسبيّة العامة**) دمج فيها الزمان

بالمكان –لارتباطهما بالمجال الجاذبيّ– في مصطلح (الزمكان) قائلاً: "إن بعد الزمن وأبعاد المكان انبثقت من مصدر لا نهائي الخصائص[11] واستطاع أن يحدد عمر الزمن والأبعاد الأخرى بنحو 13.8 مليار سنة"[12]، وبذلك تحوّل الزمان من الوجود الميتافيزيقي إلى الوجود المادي، وأصبح (الزمكان) قابلاً للمطّ والانكماش واللّي والتمدد. وقد أثّرت نظرية أينشتاين إلى حدّ بالغ على الفن والمعرفة بعامّة، فظهرت فكرة الأكوان المتعددة كما ظهرت في العلوم فكرة إمكانية السفر في الزمن، وانعكست هذه الفكرة على الشعر فاعتمد على دمج الزمن والتجوّل فيه بالسفر والترحال والذهاب والعودة، كما كتبت أدبيّات كثيرة وظّفت نظريّة أينشتاين منها: "آلة الزمن" للكاتب ج. ويلز[13]، و"الكشف عن حاقة الزمن" للكاتب جون جرين[14]، و"كيف تبنى آلة الزمن" للكاتب بول ديفيز[15].

وفي الوقت نفسه الذي بلغ فيه المسار الموضوعي ذروته في بحث الزمن؛ ظهر الفيلسوف الفينومينولوجي **الألماني مارتن هايدجر** ليتناول في بحثه المطوّل والدقيق (الكينونة والزمان/1927) **الوجود** من منطلق زمني معيدًا النظر إلى الكينونة (الوجود) على أنها متعالية كليّة وأن فهمها متغيّر بتغيّر الدازين (الموجود) لأنّه مجرّد مؤوّل [16]. لذلك بنى هايدجر مشروعه على فهم العلاقة بين الكينونة الكلية والكينونة الخاصّة من خلال التحليل الأنطولوجي للدازين[17]، ويتضح هذا المشروع بالتمييز بين الوجودانيّة التي تؤسس للبنى التي يتأسس عليها الوجود وقد سمّاها هايدجر **بالأنطولوجيا**، وبين الوجودية التي تؤسس لمعنى الوجود وقد سمّاها **بالإنطيقيّة**؛ فالأولى تتعلق بوجود الخاص في العام بينما تتعلق الثانية بالوجود الخاص المفرد، وتكون الأولى في الزمان بينما تكون الثانية في الزمانيّة، ولذلك جعل هايدجر الزمان أفقًا متعالٍ للسؤال عن الكينونة وجعل للتحليل الأنطولوجي مهمّة التفسير الوجودي للدازين في مراحل الانبثاق والنشأة والمصير قائلاً: "**إنّه فقط عندما تكون البنى الأساسيّة للدازين معتملة كفاية ضمن توجّه صريح نحو مشكل الكينونة، ينال ما ظُفِرَ به إلى الآن من تفسير للدازين تبريره الوجوداني**"[18].

والخلاصة إنّ قصائد الاستدعاء ارتبط ظهورها بما أتاحه المسار الأول (الطبيعي) من فكرة السفر عبر الأزمنة والتجوّل فيها، كما ارتبط مفهومها بما أتاحه المسار الثاني (الفلسفي) من مبررات وجودية لمسألة استدعاء القدماء أو الذهاب إليهم والانتقال بهم أو معهم أو من خلالهم إلى المستقبل.

4. الفينومينولوجيا الوجوديّة منهجًا لبحث الزمن

يهدف البحث في هذه النقطة إلى تحديد منهجه في دراسة عنصر الزمن لسببين:

- **الأول: لتحرير نفسه من منطلقات المناهج الأخرى**

- **الثاني: لتوضيح علاقة الوجود بالزمان في الفينومينولوجيا التأويلية لهايدجر**

تنطلق **الفينومينولوجيا** الوجودية **(التأويلية)** من الاعتقاد في صدق البحث عن الماهيّة بالعودة إلى ذوات الموضوعات التي سمّاها هايدجر بـــ"التراكيب الوجوديّة للآنيّة" وهي ظواهر على نحو ما تظهر نفسها بنفسها، ولقد حدد هايدجر الوجود بوصفه حضورًا في الزمان[19]، وانطلق في مساءلة حضور الوجود من مقولة: "**لكل شيء زمنه**" مؤكّدًا أن الوجود ليس شيئًا لأن حضوره لا يكون إلا في الزمان محدّدًا بوساطة الزمني: "**إن الذي يكون في الزمان وهو مقدّم في الزمان يحدّد بوساطة الزمان ويدعوه المرء الزمني**"[20]، ومع ذلك فإن الزمان عند هايدجر ليس شيئًا أيضًا لأنه غير قابل

للتحديد بدقّة، ولهذا السبب فإن الوجود والزمان هما موضوعان للتفكير موجودان على هيئة منح للحضور أو هبة [الهو][21]،، ويكون حضورهما من جهة التفكير بمعنى نزع التحجّب أو استجلاب إلى العلن ليصبح وجودًا [22].

ويذهب التحديد الوجودي للإنسان عند هايدجر إلى أنّه كائن "dasein" مسلّم إلى كينونته التي تخصّه، وتكمن ماهيّته في إن عليه أن يكون، وإن الطباع التي له هي ممكنة له في كلّ مرة لأن يكون "**بحسب طابع الكينونة التي – لي – في – كلّ مرّة**"[23]، وتسمّى طباع الكينونة التي من شأن الدّازين وجودانيّات[24]. ويؤوّل وجود الإنسان على أنه الكائن الحي العاقل بمعنى الحدوث، وهذا التأويل تندرج فيه الأنثروبولوجيا وعلم النفس ضمن بيولوجيا عامّة، وتندرج البيولوجيا من حيث هي "علم الحياة" ضمن أنطولوجيا الدازين[25] أو الوجود الإنساني، ومن منطلق التأويل الزماني فإن الكائن الذي داخل العالم يصبح في المتناول بوصفه كائنًا في الزمان، ويسمّى تعيّن الزمان الذي من شأن الكائن الذي داخل العالم بالزمنيّة الداخلية[26]، وضمن الزمنية الداخلية تتأسس أنشطة الوجود اليومي للإنسان أو بمصطلح هايدجر (أنماط الكينونة اليومية) ، ومن بين هذه الأنماط نمط الكلام الذي ينتمي إليه الشعر، والأساس الوجودي لنمط الكلام هو اللغة وهو ينطوي من جهة الإمكان على السماع والسكوت وتتلعق به كل الظواهر الدلالية مثل الاستفزاز والتنبيه وغيرها [27] ، كما تتعلق به ظاهرة التواصل وما يتصل بها مثل البلاغ والتعبير والتفصيل والشعر والتصوير[28]، وقد جعل هايدجر الشعر غير متعلّق بزمان معيّن ولكنّه يكشف بطريقة الخطاب عن الزمن الذي ينشغل به[29]، فقد يكون عن الماضي بالفعل الماضي وعن الحاضر بالفعل المضارع وعن المستقبل بصيغ الاستقبال.

5. الطبيعة الزمنيّة لنص (أنا وجميل بثينة) لمحمود درويش[30]

يهدف البحث في هذه النقطة إلى إبراز العناصر الزمنيّة التي توجد في نص (**أنا وجميل بثينة**) **لمحمود درويش** وكيف تعامل معها موضوعيًّا، وذلك للتدليل على الطبيعة الزمنيّة للنص قبل مناقشة الظواهر الزمنيّة الوجوديّة في النقطة التالية.

لقد وقع الاختيار على قصيدة "أنا وجميل بثينة" لتوضيح الطبيعة الزمنية في قصائد الاستدعاء بسبب أنها مبنيّة أساسا على الزمن المزدوج الذي أتاح حضور الأناتين (الشاعر وجميل) للانهماك معًا في فهم الفهم المتبصّر للوجود بطريقة فلسفيّة قديمة في بحث الموضوعات الوجوديّة هي طريقة السؤال والجواب. وعلى الرغم من ذلك فإن البحث في هذا الجزء لن يطبّق التأويل الظاهراتي إلا أن القراءة ستوضّح الأنواع الزمنية المعتادة من ماض وحاضر ومستقبل كما ستهتم بمستويات استعمال كل زمن (مثل الماضي) وإشكاليات استعماله بسبب التفاوت الزمني للأنوات وتنوّع الاستطاعة الزمنيّة من البسيطة إلى المستمرّة، وتغيّر الصفة الزمنيّة من التحوّل والدوران إلى الثبات والدوام.

ونجد في البداية أن القصيدة تتحدّث عن زمانين مختلفين، حيث تتحدّث الشخصيّة الأساسية للنص عن الشخصيّة المستدعاة وزمنها لتقرر أنهما كبرا في زمانين مختلفين:

كَبرْنا أنا، وجميلُ بُثْيْنَة، كُلٌّ

على حِدَةٍ، في زمانين مُخْتَلِفَيْنْ..

ومع أن الاستهلال يتعلّق بالزمن الماضي إلا أنه فعليًّا يدل على زمنين "ماضيين" مختلفين كبرت فيه الشخصيتان (الشاعر وجميل)، والأمر الأهم هنا أن النص يدرك هذا التفاوت الزمني وهو يتغلّب عليه بالاعتماد على "معيار زمني" شمولي يبرر الجمع بين الأزمنة المختلفة، ويحدد النص هذا المعيار في عنصر "الوقت":

هُوَ الوقتُ يفعل ما تفعل الشمسُ

والريحُ: يَصْقُلُنا ثم يقتلُنا حينما

يحمل العقلُ عاطفةَ القلبِ، أو

عندما يبلُغُ القلبُ حكمتَهُ

ومع ذلك فإن القصيدة لم تكتف بالوقت (المادّة الزمنية) للتغلّب على إشكالية التفاوت الزمني بل استعملت العوامل الزمنيّة (الشمس والريح والحين) للدلالة على التحوّل والدوران التي يتميّز بها الوقت، وللكشف عن تأثيره في العواطف والمنطق معًا حيث ينجرفان بحركيّة الوقت، وبهذه التفاصيل الزمنيّة تطرح القصيدة حلاً لإشكالية التعارض بين (العقل/القلب) وذلك عندما يحرّكهما الوقت إلى إحدى النتيجتين: استسلام العقل للقلب أو اكتشاف القلب للحكمة.

وفي الجزء التالي نجد أن المعيار الزمني (الوقت) هو الأساس الذي يعتمد عليه الاستحضار ويقوم عليه الاستدعاء، فعلى الرغم من تقدّم الإشارة إلى جميل إلا أنّ الاستدعاء لا يحدث إلا حين يوجّه إليه السؤال الأول:

يا جميلُ ! أتكبَرُ مِثْلكَ، مثلي،

بثينةُ ؟

إن هذا النداء حوّل القصيدة من زمني الشخصيتين إلى صناعة زمنها الخاص الذي يؤسس للرؤية الزمنيّة التي تقدّم المغزى، وفيما يتضح فإنها تكشف عن مسار الشخصيّات الثلاث (الشاعر وجميل وبثينة) بالنظر إلى حركيّة الوقت، والسؤال الأول (أتكبر؟) في حقيقته هو سؤال عن الوجود الزمني لـــ(بثينة) ومدى تأثّرها بتلك الحركيّة، أمّا الإجابة فقد كانت غامضة جدّا ومزجت الزمن:

تكبرُ، يا صاحبي، خارج القلب

في نظر الآخرين. وفي داخلي تستحمُّ

الغزالةُ في نبعها المتدفق من ذاتها.

إن العبارة الأولى من الإجابة (تكبر، يا صاحبي، خارج القلب في نظر الآخرين) تدل على تأثّر (بثية) بالتحوّل والدوران، أمّا العبارة الثانية من تلك الإجابة (وفي داخلي تستحم الغزالة في نبعها المتدفّق من ذاتها) فتدل على الثبات لأن الشمس (الغزالة) تشرق (تستحمّ) في فلكها الزمني (نبعها)، وأمّا قوله (المتدفق من ذاتها) فتدّل على الاستقلال الزمني لـــ(بثينة)؛ وبذلك فإن الإجابة المتكونة من شقّين توجد تعارضًا زمنيًّا على أكثر من صعيد: الخارج/الداخل.. والدوران/الثبات.. وبناء على هذه التعارضات الزمنية يتأسس السؤال الثاني:

هيَ، أم تلك صورتُها؟

فسؤال الشخصية الأساسية للقصيدة يتعلق بإشكالية مرور الزمن على بثينة وعدم تغيّرها، لأن المرور الزمني يقتضي التغيّر والتقدّم في العمر لكن ذلك لا يحدث للصور حيث تظل كما هي، فالشك الذي يقدّمه السؤال يتعلّق في الأساس بتأثير الزمن لكن الإجابة تكشف عن مسار زمني مختلف لبثينة يجعلها تبقى شابّة جميلة:

إنّها هيَ يا صاحبي. دمُها، لحمُها،

واسمُها. لا زمان لها. ربّما استوقفتني

غدًا في الطريق إلى أمسها

إن التعارض السابق يدفع النص ليصل في إجابة جميل إلى أن بثينة (لا زمان لها) لكنّ هذا لا يحل الإشكالية الزمنيّة بسبب أن اتصال جميل ببثينة يحدث باثنين من المؤشرات الزمنيّة القابلة للقياس: (غدًا) و(أمس)، والحلّ الوحيد لإشكالية استعمال المؤشرات الزمنية لبيان أنّه (لا زمان لها) يكمن في النظر إلى السياق النصّي الذي يكشف عن أن المؤشرات الزمنيّة المعتادة (غدًا) و(أمس) لا تصلح لفهم (زمان بثينة) لأن (غدها) يتقدّم على (أمسها)، ولأن المتحدّث هنا هو (جميل) فإننا نجد عدّة احتمالات لفهم نوعيّة الزمن التي يستعملها النص لبثينة:

(لا زمان لها) قياسًا على زمان جميل

(لا زمان لها) قياسًا على زمان الشاعر وجميل

(لا زمان لها) قياسًا على الزمان المحدود

وقد تبدو هذه الاحتمالات منطقية لكنها للأسف لا تكشف عن نوعية الزمن الذي يخدم النّص، ولذلك لا يبقى إلا احتمال واحد هو:

(لا زمان..) = (زمان بثينة: لا محدود)

إذن فالحلّ الوحيد لفهم الزمان هنا يكون بإدراك أن نفي الزمان يدل على وجود زمني لا محدود لبثينة يختلف عن زمان الشاعر أو جميل أو الزمان العادي، ولهذا فإن السؤال الثالث يسأل عن الحب في غياب التكافؤ الزمني بين جميل وبثينة:

هل أحبّتك؟ أمْ أعجَبَتْها استعارتُها

في أغانيك، لؤلؤةً كلَّمَا حدّقتْ في

لياليكَ واغرورقتْ ... أشرقتْ قمَرًا قلبُهُ

حجرٌ يا جميل؟

ولفهم السؤال ينبغي أن نفهم (الحب) على أنه مؤشر زمني يدل على (الوجود) الزمني الذي يسمح بالتواصل. إنّ فهم (الحبّ) على أنه دال على (الوجود) يكسب العاطفة صفة الاستمرارية، ولهذا يستطيع جميل بفضل الحب أن يصل إلى (الخلود) وهو مرتبة زمنية تدلّ على الوجود المستمر، فعن السؤال السابق يجيب جميل:

هو الحُبُّ، يا صاحبي، موتُنا المُنْتَقَى

عابرٌ يَتَزَوَّجُ من عابرٍ مُطْلَقاً....

لا نهايةَ لي، لا بدايةَ لي. لا

بُثَيْنَةٌ لي وأنا لبثينة

إن الوجود الزمني لجميل لا يعبّر عنه قوله (موتنا) لأن المعنى (غيابنا)، أمّا قوله (المنتقى) فيدل على اختيار الغياب لأنه غياب في المحبوب، وبذلك فإنّ التزاوج هنا يعنى الوصول إلى مرتبة الوجود الزمني المستمر الذي عبّر عنه قوله:

لا نهايةَ لي، لا بدايةَ لي

فهذا السطر يوضّح وصول (جميل) إلى (الخلود) بسبب حبّه لـــ(بثينة)، لأن (الحبّ) من وجهة نظر النص هو (الوجود) الزمني المستمرّ، إلا أن (وجود جميل) يبقى مع ذلك ضعيفًا فيقول:

هذا هو الحبُّ، يا صاحبي. ليتني كُنْتُ

أصغرَ منّي بعشرين باباً لكان

الهواءُ خفيفاً عليَّ وصورتُها الجانبيَّةُ

في الليل أوضحَ من شامةٍ فوق

سُرَّتها....

فعبارة (ليتني كنت أصغر منّي بعشرين بابًا) تشير إلى الإشكالية التي حدثت نتيجة لاستطالة زمن جميل حيث كبر وشاخ بينما حافظت بثينة على شبابها لأنها أصل الوجود الزمني المستمر الذي حصل عليه جميل بتعلّقه بها، فوجود جميل يتصف بغياب الفاعليّة فلا يحظى بمتعة الحب، ولهذا يوجّه الشاعر إلى جميل السؤال الوجودي الرابع:

هل هَمَمْتَ بها، يا جميل، على عكس

ما قال عنك الرُواةُ، وهَمَّتْ بكَ ؟

فالسؤال في حقيقته هو عن الطاقة الزمنيّة المرتبطة بوجود الاثنين، بمعنى: هل اتصلت بها وجوديًّا على الرغم من اختلاف الطاقة الزمنية لوجودكما؟ فكانت الإجابة على النحو الآتي:

تزوَّجتُها. وهَزَزْنا السماءَ فسالَتْ

حليباً على خُبْزِنا. كُلَّما فتَّحَتْ

جَسَدي زهرةً زهرةً، وأراق غدي

خمرَةً قطرةً قطرةً في أباريقها

وعلى الرغم من أن (تزوجتها) تعني (امتزجت بها) زمنيًّا إلا أنه لم يحدث من ذلك (نمّو) وكل ما حدث هو تفتّح الوعي (زهرة زهرة) والسكر بالأمل (قطرة قطرة) لأنّ الطاقة الزمنيّة لدى جميل أضعف بكثير ممّا يحتاج، وبسبب هذه الإشكاليّة الزمنية يسأله الشاعر السؤال الوجودي الخامس:

هل خُلِقْتَ لها، يا جميل،

وتبقي لها ؟

ولأن (جميل) يدرك أن وجوده مختلف لاختلاف الزمن كما يدرك أيضًا أن خلوده مرتبط بـــ(بثينة) فقد أجاب قائلاً:

أمِرْتُ وعُلِّمْتُ. لا شأنَ لي

بوجودي المُراق كماءٍ على جلدها

العِنَبيّ. ولا شأنَ لي بالخلود

الذي سوف يتبعُنا ككلاب الرعاة

فما أنا إلاَّ كما خَلَقْتني بُثَيْنَةُ.

إن هذه الإجابة كاشفة عن الإشكاليات الزمنيّة المحيطة بوجود (جميل) الذي يختلف عن الوجود الدائم لـــ(بثينة)، فهو لا يستطيع تفسير وجوده أو استمراريّة وجوده إلا بالانتماء إلى (بثينة)، كذلك يدرك إدراكًا تامّا أنه نال الخلود لارتباطه بـــ(بثينة)، ولهذا السبب اعترف بأنه (كما خلقتني بثينة). لقد فرّ (جميل) بهذه الإجابة من كلّ الإشكاليّات الزمنيّة التي أشرنا إليها وكأن الحلّ هو في الحضور المستمرّ مع بثينة بالحبّ، ولهذا أتى السؤال الوجودي السادس على النحو الآتي:

هل تشرَحُ الحُبَّ لي، يا جميلُ،

لأحفظَهُ فكرةً فكرةً ؟

إن العودة للسؤال عن (الحبّ) تمثّل توق الشاعر للوصول إلى الوجود الزمني المستمر أو الخلود كالذي تحقق لـــ(جميل)، وقد أجابه جميل بقوله:

أعْرَفُ الناس بالحُبِّ أكثرُهُمْ حَيْرَةً،

فاحترقْ، لا لتعرف نفسك، لكن

لتُشْعِلَ ليْلَ بُثَيْنَةَ....

تكشف هذه الإجابة عن عدم قدرة (جميل) على إدراك التفاصيل الزمنية التي مكّنته من الحضور الزمني المستمر ليبلغ زمن الشاعر أو غيره، وكل ما أدركه أن وجوده كان بسبب (بثينة) ولا حضور له من دونها، وعندما فهم الشاعر أن الوجود لا يتحقق إلا بحب المحبوب الذي يمنح الحضور الزمني المستمر وأنه لا جدوى من محاولة التغلّب على الحب أو فهمه، ختم الاستدعاء قائلاً:

أعلى من الليل، طار جميل

وكسَّر عُكَّازتَيْه. ومال على أذْني

هامساً: إن رأيت بثينة في امرأةٍ

غيرها، فاجعل الموت، يا صاحبي،

صاحباً. وتلألأ هنالك، في اسم

بثينة، كالنون في القافيةْ !

لقد اتضح لجميل في هذا المقطع أن الشاعر استدعاه ليسأله عن بثينة والحب لأن له بدوره بثينة خاصة به لم يفصح عن اسمها، وكان من نتيجة ذلك أن عاد مكانيًّا (أعلى) وزمانيًّا (من الليل) إلى محلّه من (اسم بثينة) ليبقى مرتبطًا باسمها كأنها القافية لحكايته معروفًا إلى الأبد بأنّه (جميلُ بثينة)!.

6. الظواهر الزمنيّة التي يطرحها النص

يهدف البحث في هذه النقطة إلى تناول الظواهر الزمنيّة التي نشأت بسبب اعتماد النص على الزمن الوجودي.

6.1. اعتماد المغزى على الزمن الوجودي

يرى هايدجر أن نطاق "الآن" (أي: لحظات الزمن) يسمح للدازين (أي الكائن) أن ينتقل ضمن تجاربه المعيشة في وثبات عبر سلسلة الآن التي تشد زمانه، ويمتد هو نفسه (من الحياة) على نحو بحيث أن كينونته الخاصّة مشكّلة باعتبارها امتدادًا[31]، ولذلك فإن هذا الكائن ليس "زمانيًّا" لأجل أنه "يقف في التاريخ" بل على العكس من ذلك حيث لا يستطيع أن يوجد على نحو تاريخاني إلا بسبب أن أساس كينونته زمانيّ، ويسمّى الدازين –زمانيًّا– أيضًا في معنى الكينونة (في الزمان) وما يحدث له يجرّبه باعتباره أمرًا حادثًا (في الزمان)، وبالطريقة نفسها فإن حوادث الطبيعة تصادفنا (في الزمان) "[32] وذهب هايدجر في بحوثه الأحدث إلى أن الذات الإنسانية بما هي ذات زمانيّة تتركّب من (النفس والروح والعقل) لتماثل الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)[33]، فتتعلق النفس بالأزل (الماضي) وتتعلق الروح بالحضور (الحاضر) ويتعلق العقل بالوعي (المستقبل)، أمّا (المكان) عند هايدجر فلا يظهر بأبعاده إلا في المجال الزماني فالزمان عنده هو محل المكان، ولذلك رأى أن الأبعاد الثلاثة للمكان (الطول والعرض والارتفاع) تقابلها الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) إلا أن (الزمان) كما يقول له بعد رابع: "**تكمن وحدة أبعاد الزمان الثلاثة في مرور كل واحد إلى الآخر، ويتجلّى هذا التمرير بوصفه الزمان الفعلي أعني الامتداد (المانح) المتحرّك في خاصيّة الزمان بما يشبه البعد الرابع، فالزمان الفعلي ذو بعد رابع**"[34]، بالتالي يختلف الزمان في (الامتداد) عن المكان الذي لا يوجد له بعد رابع، فالامتداد المكاني محدود ومنفصل أما الامتداد الزماني فينكشف على أنه شمولي ومتصل، وهذا الامتداد هو المجال الوجودي للزمان ويتعلّق به الوجود، ومع أنه رابع إلا أنه الأصل لذلك فإن هايدجر يعود ليقول إنه رابع من حيث العدد لكنّه الأول من حيث الحساب[35].

وعلى هذا فإن الحضور الزمني لقصّة (جميل وبثينة) هو في المحصّلة كينونة زمنيّة أتاحت للقصّة وجودًا مستمرًّا وحاضرًا في الثقافة المعاصرة، ولقد سمح ذلك للشاعر بمصاحبة جميل في قصيدة (أنا وجميل بثينة) ليحاوره باحثًا عن الحقائق الوجوديّة التي يمكن أن تفسّر الواقع الذي يعيشه برؤية زمنيّة، واستطاع عن طريق الأسئلة والأجوبة الوجودية من تقديم العلاقة التي تربطه بـــفلسطين على أنها علاقة وجوديّة بحتة، ومهما بدا أن تجربة (جميل/ بثينة) هي زمانيّة وأن تجربة (درويش/ فلسطين) هي مكانيّة إلا أن التجربتين هما زمنيّتان لأن ذوات الموضوعات التي سمّاها هايدجر بـــ"التراكيب الوجوديّة للآنيّة" وتشمل الموجودات من مثل الإنسان والبلاد وغيرها ترتبط بالآنيّة الزمانيّة، أي لا تظهر إلا زمانيًّا، وقد استطاع الشاعر أن يقرّب المسألة الوجودية لوطنه بإحلال (بثينة) محلّ (فلسطين) وإحلال (جميل) محلّه فجعل نفسه (جميلاً) لمحبوبته (فلسطين) وجعل (فلسطين) في وجوده (بثينة) له، فحوّل (المكان) إلى (الزمان) وجعلها زمنًا

متميّزًا ودلل على ذلك بعدم تأثّرها بالزمن وثباتها على الذروة الزمنيّة للجمال، وأكسبها صفة الوجود الزمني المستمر وهي مرتبة (الخلود)، وجعل من (الحب) مؤشرًا زمنيًّا يدل على (الوجود) ويسمح بالتلاقي، ومن هذا المنطلق فإن ثبات الدلالة المكانيّة ل(فلسطين) لا ينفي الدلالة الزمانية لها وإنما يؤكّده، وعلى الرغم من أن حضور (فلسطين) في النص الأدبي مرتبط بزمن النص إلا أن الدلالة الوجوديّة لفلسطين هي أكبر من زمن النص وأقدم وأطول من زمن الشاعر، وقد استطاع عن طريق (الحبّ) أن يربط زمنه القصير بالزمن الطويل لـــ(فلسطين) فارتبط بها لكنه لم يمتلك الطاقة الزمنيّة المرتبطة بالوجود المستمر، ولهذا السبب اعترف (على لسان جميل الذي حلّ محلّه) بأنه (كما خلقته بثينة–التي حلّت محلّ فلسطين–) واكتفى بالحضور المستمرّ مع فلسطين بالحبّ، وكل ما أدركه أن الوجود لا يتحقق إلا بوجود المحبوب الذي يمنح الحضور الزمني المستمر.

6.2. تأسس النص على المعنى اللاأصيل للزمن

لمّا كان الشعر عند هايدجر جزءًا من نمط الكلام فإنّه لا يتعلّق بزمان معيّن ولكنّه يكشف بطريقة الخطاب عن الزمن الذي ينشغل به[36]، فقد يكون عن الماضي بالفعل الماضي وعن الحاضر بالفعل المضارع وعن المستقبل بصيغ الاستقبال، إلا أن هذا يجعل من النص من حيث التأويل الزماني يتأسس على المعنى اللاأصيل للزمن الذي يقسّمه إلى ماض وحاضر ومستقبل، ويذهب هايدجر إلى أن هذه التقسيمات هي طباع ظواهرية للزمن وليست تزمّنًا للزمان[37]، أي أنها لا تمنح الزمن الأصيل لأن الماضي لا يكون إلا بترك الزمن المعني ليوصف بالماضي وكذلك الشأن بالنسبة للحاضر والمستقبل، ولتوضيح ذلك استدّل هايدجر بعبارة: "**وأقيم الحفل في حضور عدد كبير من الضيوف**" قائلاً إن المقصود هو " **في الزمن الحاضر للضيوف**" أي أن الحضور يشير إلى ذلك الزمن بعد مضيّه، والدليل على ذلك أنه لا يمكن أبدًا استعمال (الآن) للقول: "**في (الآن) أقيم الحفل في حضور عدد كبير من الضيوف**". وما ينطبق على الحاضر ينطبق على المستقبل بمعنى أنه لا يحضر إلا بترك الحضور ولذلك فإن كلمة (المستقبل) في عبارة: "**لقد بدأ المستقبل**" لا تدل على زمن المستقبل بل على ترك حضور ذلك الزمن. وهذا يؤكد ما سبق ذكره من أن الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل هي فقط لمقابلة الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والارتفاع، أمّا في الحقيقة فإن تلك الأزمنة والأبعاد عائدة إلى زمان أصيل (واحد) يعيّن الحاضر ويكوّن ما مضى انطلاقًا من المستقبل الأصيل[38]. بالتالي فإن تأسس النص الشعري على الزمان اللا أصيل مثلما هو في قصيدة (أنا وجميل بثينة) لا يكشف عن زمن الشخصيتين (جميل وبثينة) ولا عن زمن الشاعر ولا عن انتقاله إلى الماضي كما يظهر لأوّل وهلة ولا عن تجاوز زمني كما قد يتوهّم البعض، وإنما عن تزامن حضور حكاية (جميل وبثينة) مع حضور حكاية (الشاعر وفلسطين) في لحظة زمنيّة حاضرة (بين ماضي التزامن ومستقبله) لتنتج القصيدة.

6.3. الاستدعاء بمعنى المزامنة

لقد افترض النقّاد أن نص الاستدعاء يذهب ليستدعي الشخصيّة أو الشخصيات القديمة من زمنها السابق إلى زمنه هو، وأن قصائد الاستدعاء هي نصوص قائمة على استدعاء الشخصيات من الماضي إلى الحاضر، لكنّ هذا الافتراض لا

يوضح الزمن الفعلي للقصيدة وهو أيضًا ليس صائبًا لسببين: يتعلق السبب الأول بدلالة الحاضر والماضي، ويتعلق السبب الثاني بدلالة الاستدعاء.

بالنسبة للسبب الأول فقد أوضح البحث في النقطة السابقة أن الحاضر والماضي لا يمنحان الزمن الأصيل. أمّا بالنسبة للسبب الثاني فإن دلالة الاستدعاء لا تظهر في النص بمعنى الدعوة وإنّما بمعنى المزامنة، وممّا يدل على ذلك أن حضور الشخصيّات القديمة (من مثل جميل بثينة) في الزمن المعاصر أقوى –ثقافيًّا– من حضور الشخصيّات الحديثة، كما أن الشخصيّات القديمة لا تحضر بمفردها في القصيدة بل بصحبة شخصيّات أخرى من أزمان مختلفة، ومعظم نصوص الاستدعاء تستحضر شخصيات قديمة لها حيوية ثقافية وثقل إيحائي في الحضارة العربيّة بسبب أن حضورها القوي لم يخفت منذ أن ظهرت لأول مرّة أي لا تستدعى من الماضي المنقطع، وهذا يشير بصورة واضحة إلى أن الاستدعاء يعني المزامنة أو المصاحبة وليس طلب الحضور.

6.4. تجذّر النص في المستقبل

رأى هايدجر –وفلاسفة كثر– أنه لا يوجد حاضر ولا يمكن أن يحدث شيء في الحاضر البتّة، **والسبب أن الحاضر** يختلف عن الماضي والمستقبل لتغيّر (آن) التزمّن، "**والآن هو اللحظة التي تسمح بأن يعرض الشيء لأوّل مرّة حيث لا يمكن لأي شيء أن يحدث في اللحظة**"[39]

أمّا الماضي فلا يوجد ماضٍ أيضًا وإنما توجد (كانيّة) للمستقبل تسمّى عادة بالماضي، ولذلك فإن ما كان إنما كان ممّا سيكون ولا يمكن أن يوصف شيء بكان إلا إن كان بالإمكان أن سيكون، بالتالي فإن حالة المزامنة التي تقدّمها قصيدة الاستدعاء لا تكون إلا في المستقبل، وصحيح أنّه في البداية مستقبل غير أصيل لكنّه بالنظر إلى النهاية عائد إلى المستقبل الأصيل بسبب أن قصيدة الاستدعاء من فهم الفهم الذي يكون بعد الاستحضار، وهذا بمصلح هايدجر هو تجذّر للكانيّة والحاضر في المستقبل: "**إن تجذّر الحاضر في المستقبل وكذلك الكانيّة هو شرط الإمكان الزمانيّ– الوجوداني الذي يمكّن الأمر المستشرف في فهم الفهم المتبصّر من أن يقرّب منهله ضمن استحضار ما** "[40]

ولذلك فإنّ الزمن الفعلي لقصيدة (أنا وجميل بثينة) هو المستقبل لأنّها حادثة في المستقبل الذي سمح بتزامن الحالتين: حب جميل لبثينة؛ وحب الشاعر لفلسطين ثم سمح بحدوث القصيدة، وممّا يؤكّد هذه النتيجة أنها قابلة للتكرار مع حالات أخرى ومع نص آخر في المستقبل.

6.5. زمن الرؤيا النصيّة

لقد نص هايدجر على أن زمانيّة الوجدان التي تتعلق بالمشاعر تحمل الدازين أمام كينونته–الملقى–بها بتأثير من الأمزجة التي تتقلّب تبعًا لما حدث، وهذا الحمل إنما يكون في المستقبل، وقد ذكر هايدجر مثالين على تلك الأمزجة هما (الخوف والقلق)، لكن قياسًا على ذلك يمكن القول إن (الحب) أيضًا خاضع لزمانيّة الوجدان لأن ما يبعثه هو مزاج أيضًا إلا أنّه مزاج حسن، لذلك فإنّ حالة (حب جميل لبثينة) وحالة (حب الشاعر لفلسطين) واقعان في المستقبل لأنهما نتيجتان لما تقدّم، وكل نتيجة منهما هي نتيجة متكررة لمعادلة ثابتة لا تتغير عناصرها ولا ترتيبها: (جميل + ببثينة=حب) وأيضًا (الشاعر+ فلسطين=حب). بالتالي فإن الرؤيا النصيّة لنص (أنا وجميل بثينة) معتمدة على النتيجتين، وهذا يعني أن حقيقة

(فلسطين) تحوّلت إلى ظاهرة دالة على (كينونة دازين القصيدة) وليس العكس، وقد جعلته مفتوحًا أمام ذاته وواضحًا بأن مصيره مرتبط أبديًّا بفلسطين، وهذه الظاهرة من ظواهر الوجدان التي عناها هايدجر بقوله: "إنّ من شأن الزمانيّة الوجديّة أن تنوّر (الهناك) على نحو أصلي بمعنى أن تجعله أمام ذاته –مفتوحًا – و–واضحًا– ليحصل كل إشراق وإلهام وإدراك ورؤيا" [41].

7. نتائج البحث

- أوضح البحث مفهوم الزمن الذي قامت على أساسه قصائد الاستدعاء وسمح لها بالاعتماد على التحوّلات الزمنية.
- حدّد البحث المرجعيّة الفلسفيّة التي مكّنت قصائد الاستدعاء من استغلال التحوّلات الزمنية في بناء المضمون وطرح المحتوى المتميّز.
- بيّن البحث ارتباط الشعر بنمط الكلام الذي هو أحد الأنماط الأساسية لكينونة الإنسان.
- أبرز البحث اعتماد النص على العناصر الزمنيّة وكيف تعامل معها موضوعيًّا.
- كشف البحث عن ارتباط المغزى الوجودي بالزمن وكيف حددّ الزمن العلاقات الوجودية بالوطن والمحبوبة.
- أوضح البحث تأسس نصوص الاستدعاء على المعنى اللاأصيل للزمن.
- وجد البحث أن الزمن الفعلي لقصائد الاستدعاء هو المستقبل.
- وصل البحث إلى أن الرؤية النصيّة هي جزء أصيل من طباع الاستشراف التي تتعلّق بالمستقبل الأصيل، وأن كينونة الذات لا تكون إلا بالوجدانيّة المتصلة التي جعلت مصيره واضحًا بأنه مرتبط أبديًّا بالغاية العاطفيّة.

Abstract

Time in summoning poems: A reading of temporal phenomena in Mahmoud Darwish's poem (I and Jamil Buthaina)

By Ali bin Qasim bin Musabh Al Kalbani

The summoning poems depend on summoning historical figures with suggestive weight to indirectly display the meaning, and despite the valuable objective advantages that characterize this type, the case of recall poses technical problems because the text is based on the duality of discourse and temporal transformations, and this research aims to address the element of time. In summoning poems based on Heidegger's existential phenomenology, and he proceeded from the abandonment of summoning poetry from real time to link the text with an existential temporal context that enables it to mix times, and the research sought to reveal the temporal phenomena related to summoning poetry by studying time in the text (I and Jamil Buthaina) by Mahmoud Darwish to determine its elements and their impact on the meaning, quality of time, the actual time of the text and the time of the textual vision. Critics have assumed that summoning poems are based on summoning characters from the past to the present, but this assumption does not clarify the actual time of the poem and it is also not correct for two reasons: the present and the past do not give the original time, and the meaning of the recall does not appear in the text in the sense of the invitation but rather in the sense of synchronization, because its strong presence that has not weakened since it first appeared.

الهوامش:

[1] منها (مقال) الشمعة، خلدون: تقنية القناع دلالة الحضور والغياب، مجلة فصول، مج1997، ع1، ص ص 73–85. و(مقال) نظري، علي: استدعاء شخصيات الشعراء في شعر محمود درويش، مجلة دراسات الأدب المعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لرستان، السنة الرابعة، مجلد خريف 1391، العدد 15، ص ص 21–42.

[2] منها (دراسة) زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة،1997، ص 20.

[3] منها (دراسة) عطا الله، أحمد مهدي: القصيدة الدرامية في الشعر العراقي الحديث، الجامعة المستنصريّة ببغداد، أطروحة دكتوراه،2011، ص 180.

[4] الخولي، يمنى: الزمان في الفلسفة والعلم، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 33.

[5] الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، مجلّة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشميّة، مارس 2018، ص ص 25–29، ص: 26 –27

[6] الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، ص 26

[7] الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، ص 28

[8] الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، ص 28

[9] الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، ص 28 (بتصرف)

[10] استأنست في وضع هذا التقسيم ببحث: الخولي، يمنى: الزمان في الفلسفة والعلم، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 37.

[11] أي مصدر (أزلي) بتعبير المتكلمين المسلمين.

[12] غصيب، هشام: الزمن في العلم الحديث، مجلّة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشميّة، مارس 2018، ص ص 21 – 23.

[13] ويلز، هـــ. ج.: القصص القصيرة الكاملة، ترجمة رؤوف وصفي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

[14] جرين، جون: الكشف عن حاقة الزمن، ترجمة علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001.

[15] ديفيز، بول: كيف تبنى آلة الزمن، ترجمة منير شريف، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

[16] هايدجر، مارتن: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، الطبعة الأولى، دار الكتب الجديد، بيروت، 2012، ص 63.

[17] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 69.

[18] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 71.

[19] هايدجر، مارتن: في الشيء الذي يخص التفكير، ترجمة وعد الرحية، الطبعة الأولى، دار التكوين، دمشق ، 2018، ص7.

[20] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 9.

[21] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 12.

[22] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 13.

[23] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 113، ويشير المصطلح "**لي**" إلى الكينونة الخاصّة، أمّا المصطلح "**في**" فيشير إلى الكينونة العامّة وهي كينونة الوجود.

[24] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 116

[25] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 125

[26] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 579

[27] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 313

[28] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 316

[29] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 604

[30] درويش، محمود: ديوان سرير الغريبة، الطبعة الأولى، دار رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 1999، ص 116

[31] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 645

[32] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 648

[33] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 27.

[34] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 25.

[35] هايدجر: في الشيء الذي يخص التفكير، ص 26.

[36] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 604

[37] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 272

[38] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 274

[39] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 587

[40] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 621

[41] هايدجر: الكينونة والزمان، ص 606

المصادر والمراجع:

- جرين، جون: الكشف عن حاقة الزمن، ترجمة علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001.
- الخولي، يمنى: الزمان في الفلسفة والعلم، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
- درويش، محمود: ديوان سرير الغريبة، الطبعة الأولى، دار رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 1999.
- ديفيز، بول: كيف تبنى آلة الزمن، ترجمة منير شريف، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
- زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة،1997.
- الشمعة، خلدون: تقنية القناع دلالة الحضور والغياب، مجلة فصول، مج1997، ع1، ص ص 73–85.
- الطائي، محمّد باسل: الزمن في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، مجلّة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشميّة، مارس 2018، ص ص 25–29.
- عطا الله، أحمد مهدي: القصيدة الدرامية في الشعر العراقي الحديث، الجامعة المستنصريّة ببغداد، أطروحة دكتوراه،2011.
- غصيب، هشام: الزمن في العلم الحديث، مجلّة أفكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشميّة، مارس 2018، ص ص 21 – 23.
- نظري، علي: استدعاء شخصيات الشعراء في شعر محمود درويش، مجلة دراسات الأدب المعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لرستان، السنة الرابعة، مجلد خريف 1391، العدد 15، ص ص 21–42.
- هايدجر، مارتن: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، الطبعة الأولى، دار الكتب الجديد، بيروت، 2012.
- هايدجر، مارتن: في الشيء الذي يخص التفكير، ترجمة وعد الرحية، الطبعة الأولى، دار التكوين، دمشق، 2018.
- ويلز، هـــ. ج.: القصص القصيرة الكاملة، ترجمة رؤوف وصفي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.